**المحاضرة : 2**

**حلقة موسكو \* جاكوبسون رومان Jakobson, Roman:**

**تمهيد:**

**ولد "جاكوبسون" بموسكو عام 1896 من عائلة يهودية روسية برجوازية، تمتع والده بثقافة متنوعة، مما انعكس على شخصية جاكوبسون، فقد كان مولعا بالمطالعة منذ الصغر، فأتقن اللغة الفرنسية وتعلم الألمانية واللاتينية، كما اهتم بالشعر، وقرأ لكبار الشعراء الروس خاصة حتى أنه حلل شعر: "مالارميه" وهو في سن الثانية عشر، ونظم الشعر وهو في سن الخامسة عشر، واهتم بالفولوكلور وهر ابن السادسة عشر، وهكذا بدأ بتكوين شخصيته المتميزة وعالمه الخاص، وتخصص "جاكوبسون" في جامعة موسكو في جامعة القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية، كما اهتم بالعلاقة بين اللغة والأدب وبدروس "دي سوسير" وشارك في إنشاء مدرسة براغ اللسانية عام 1915، ويعد من أوائل اللسانيين في تناول التحليل البنيوي للأشكال الأدبية ودراسة النص الأدبي لذاته بمعزل من صاحبه.**

**وفي عام 1920 توجه إلى تشيكوسلوفاكيا، عندما شارك في تأسيس نادي براغ واصدر عام 1921 دراسة تناولت الشعر الروسي الحديث، وفي سنة 1928 وضع مع "تروبتسكوي" و "كارسيفسكي" النظريات اللسانية التي اعتمدتها مدرسة براغ، وفي عام 1938 شغل منصب نائب الرئيس لهذه المدرسة. وفي سنة 1942 انتقل إلى الدنمارك والنرويج، ثم الولايات المتحدة الأمريكية حيث درس في معهد الدروس العليا في نيويورك، إلى غاية سنة 1946 ثم في جامعة كولومبيا إلى غاية سنة 1949 و "هارفرد" إلى غاية 1957.**

**كان لقاء جاكوبسون في الولايات المتحدة الأمريكية ببعض تلاميذ فرويد وبعض العلماء البارزين، أمثال تشومسكي (Chomsky)، وهال (Hall) ولفي ستراوس (Levi Strauss) الأثر الكبير في تطوير اللسانية الحديثة، إضافة على تعرفه على علماء في الرياضيات والفيزياء وعلم الأعصاب، فكان وسيطا بين العلوم الدقيقة والعلوم اللسانية الحديثة**

**وقد ساعد "جاكوبسون" الظروف التي أحيط بها منذ طفولته وكذلك أسفاره ومقابلاته الكثيرة، على إغناء دراسته وتعميقها وتنويعها، لاسيما أنه يتمتع بذاكرة قوية، وتوفي "جاكوبسون" سنة 1983 بعد أن أمضى حياته في العمل الدائب والبحث المستمر والدراسة الجادة.**

**مؤلفاته:**

**كان للاطلاع الواسع الذي سمح لـ جاكوبسون خلال عمره المديد، والسفر المتواصل، أكبر الأثر في مضمون مؤلفاته، ودراساته، فقد كان غنيّا في علمه، متشبعاً في معارفه، غزيراً في إنتاجه، موسوعياً في معلوماته، وزاد ما كتبه على أربع مئة وأربع وسبعين عنواناً منها ثلاث مئة وأربعة وسبعون كتابا ومقالا، فضلا عن مئة من النصوص المختلفة في موضوعاتها،**

**وقد دارت دراساته حول أربعة مجالات هي:**

1. **الفونولوجيا.**
2. **نمو الطفل اللّغوي وأمراض الكلام.**
3. **الوظيفة الشعرية أو الإنشائية.**
4. **منهجية تحليل النصوص**

**أ. جاكوبسون والفونولوجيا:**

**يعد جاكوبسون من مؤسسي "الفونولوجيا" في مدرسة براغ، ولولا ديناميكيته الفعالة لما استطاعت أن تحقق ذلك النجاح الكبير، ولأستغرقت وقتا طويلا لتفرض نفسها خارج براغ، ففي كتابه "مبادئ اللسانيات العامة" أعطى أهمية لدراسة الخصائص المشتركة بين الأنظمة اللسانية في المجال الفونولوجي، بعد ملاحظة الاختلافات الممكنة والقيام بحصرها، ثم ضبطها وفق التضاد القائم بينهما على المستويين السمعي والنطقي، التي هدته إلى فكرة "الملامح المميزة" التي تميز فونيما عن الآخر، وعليه فمفهوم الفونيم عنده هو مجموعة من الملامح المميزة التي تتبع من الخصائص النطقية والسمعية، وتحدد كل صوت من أصوات اللغة، مثل موضع النطق وصفته.**

**ونظرا لدقة الملامح المميزة لكل فونيم والحاجة الماسة إلى تحديدها الدقيق، لجأ جاكوبسون إلى الاستعانة بالآلات وإدخال الأجهزة في الدراسة الصوتية، ونتج عن ذلك تطور هذه الدراسة التي أصبحت تعرف بـ علم الأصوات التجريبي أو الآلي (La phonétique instrumentale) وعليها بنى نظريته الفونولوجية على مبدأ الازدواجية أو الثنائية (Binarisme)، التي تحدث نتيجة لتقلبات صوتية معينة إذا وجدت فالوحدة الصوتية معلمة، وإذا غابت فهي غير معلمة، وحاول جاكوبسون تطبيق فكرة الملامح المميزة في التحليل المورفولوجي، فقد وضع نظاما مورفولوجيا من خلال دراسته لنظام الفعل في اللغة الروسية، ولكن جهوده في المورفولوجيا لا تقارن بجهوده في ميدان الفونولوجيا**

**أعطى جاكوبسون الأولوية للدراسات التاريخية، وذلك عكس "دي سوسير" الذي أولى الاهتمام لدراسة التنظيم الفونولوجي الحالي للغة، وحاول أن يدرس هدف التغيير الطارئ على الفونيمات عبر المسار التاريخي للغة، أكثر من محاولة فهم أسبابه ومصادره، فتوصل إلى وضع تنظيم فونولوجي كلي يحتوي على اثنتي عشر سمة ثنائية صالحة لوصف النظام الفونولوجي في كل اللغات الإنسانية، فهذه السمات كلية، تختار اللغة على إثرها نظامها الفونولوجي، وهذه السمات هي المتضادات التالية:**

**(مجهور/مهموس)، (غليظ/حاد)، (رخو/شديد)، (مزيد/غير مزيد)، (شفهي/غني)، (متكثف/منفلش)، (صائت/صائب).**

**وقد تبنت المدرسة التوليدية التحويلية لمؤسسها نوام تشومشكي مبادئ جاكوبسون الفونولوجية.**

**ب. وظائف اللغة عند جاكوبسون:**

**يرى "جاكوبسون" أن اللغة وسيلة التواصل الإنساني، الذي لا يتحقق إلا بتوفر العناصر التالية:**

**- المرسل: يقوم بأداء الرسالة.**

**- المرسل إليه (المتلقي): يستقبل الرسالة.**

**- إقامة الاتصال بين المرسل والمتلقي: كي ينجح هذا الاتصال لا بد من وحدة التجربة بينهما، وذلك وفق قناة التحويل التي تحقق الاتصال وتبقيه قائما.**

**- لغة مشتركة:يتكلمها المرسل والمتلقي معا: وهو ما يساعد ويسهل عملية التواصل. (سنن)**

**- رسالة لغوية: وهي ظرف للمحتوى الكلامي، الذي تشير إليه، ويفهمه المتلقي في الوقت نفسه.**

**- محتوى لغوي: ترمز إليه الرسالة: وتشكله اللغة المشتركة بين المرسل والمتلقي ونستطيع تمثيل هذه العناصر اللازمة لتحقيق عملية التواصل كما يلي:**

**عناصر التواصل:**

**سياق**

**مرسل قناة مرسل إليه**

**رسالة**

**سنن**

**ويميّز رومان ياكوبسون ستَ وظائف لغوية تنبثق عن مكونات للنموذج التواصلي هي:**

* **الوظيفية المعرفية Cognitive "الوضعية" أو "المرجعية":**

**تتفرع هذه الوظيفة عن الشكل التواصلي المتمثّل في "السياق"، ويمكن أن تتحقّق في اللّغة اليومية واللّغة العلمية، لأنّ الرسائل في هذه الحالة تعتمد على المواضعة اللّغوية المشتركة بين افراد الجماعة اللسانية، كما أنّ الغرض من التواصل يتمثّل في الإبلاغ ذي الطبيعة النفعية وما دامت الرسائل اللفظية لا تتنوّع تبعا لهرمية الوظائف، فإنّ وظائف أخرى تتواجد مع هذه الوظيفة المهيمنة في هذه الرسائل.**

* **الوظيفة التعبيرية Expressive "الانفعالية" (المرسل):**

**وتتمثّل في الرسائل التي تركّز على الحمولة الانفعالية والوجدانية، ومن ثمّ فإنّها ترتبط بالمرسل، أي تقدم انطباعه وانفعاله تجاه شيء ما، وترتبط هذه الوظيفة ببنية تعبيرية خاصة على مستوى النحو والصوت والمعجم، ويترتّب عن هذا تباين بين ظواهر لسانية متنوعة، فعلى المستوى الصوتي مثلا: ترقى الظواهر الفيزيولوجية والعناصر التمييزية إلى مرتبة العنصر الاختلافي الذي يعبّر عن الانفعال، وهكذا فإنّ الاختلاف كما يذكر ياكوبسون|si| و |si:|: اختلاف من طبيعة انفعالية في اللّغة التشيكية، ينبغي تمييزه عن الاختلافات الأخر –الفونيمية مثلاً – إنّ لهذه الوظيفة علاقة بأشكال وأنماط الإنشاد التي تتحقّق بها العبارة.**

* **الوظيفة الإفهاميةConative(المرسل إليه):**

**تكتسي نوعية الإبلاغ الموجه للمستمع صبغة الأداة التمييزية التي تطبع الرسائل بدلالات خاصة، واتسمت مظهراتها وبناها التركيبية والنحوية بخصيصات محدّدة، تعين تعالق مكونات الجملة والخطاب واقسام الطبقات التعبيرية، فالوظيفة الإفهامية التي تتصل وتركز على المرسل إليه تحدّد لنفسها إطارا خاصا للتبادلات العلائقية والتمفصلات اللسانية التي تتفاعل بداخلها فهي تجد تعبيرها النحوي: "الأكثر خلوصاً في النداء والأمر اللذين ينحرفان من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فنولوجية"**

* **الوظيفة الانتباهية: *Phatique* (إقامة الاتصال):**

**تهدف بعض الرسائل، كما يؤكد ياكوبسون، إلى إقامة التواصل والحفاظ عليه، وذلك باستخدام أشكال تعبيرية وسلسلات لفظية في لحظات معينة، قصد التأكد من استمرار التواصل وصحة تمثل المستمع مضمون الإبلاغ الحقيقي، وتأخذ هذه الوظيفة أبعاداً تشكيلية توظف لأغراض فنية توفرها الرغبة في إقامة التواصل وتحقيق جمالية تتفاعل مع الحمولة المعرفية الخاصة.**

* **الوظيفة الميتا لسانية *Metalinguistique* (السنن):**

**يمكن أن نميّز هذه الوظيفة بين مجالين لغويين، المجال الأول وتمثّله "اللّغة الواصفة المعتمدة في الدراسة العلمية التي تتّخذ من اللّغة موضوعا لها"، أمّا المجال الثاني فيرتبط بعمليات الشرح التي تتخلّل التواصل في الكلام اليومي، وهي ترمي إلى تحقيق درجة قصوى من التمثّل لدى المستمع.**

* **الوظيفة الشعرية *Poetique* الرسالة:**

**تركز الرسائل التي تهيمن فيها هذه الوظيفة على الرسالة ذاتها، وينبّه رومان ياكوبسون إلى أنّ هذه الوظيفة لا تقتصر على الشعر وإنّما ينبغي دراستها في أشكال الرسائل اللفظية الأخرى وكذلك غير اللّفظية وتعمل هذه الوظيفة على إبراز قيمة الكلمات والأصوات والتراكيب ... في ذاتها، مكسبة إيّاها قيمة مستقلة.**

**بالإضافة إلى هذه الوظائف اللّغوية نلاحظ أشكالا تعبيرية أخرى ترتبط إمّا بالأجناس التعبيرية أو بالطبيعة الميتولوجية لأنماط عدة من الاتصالات.**

**إنّ هذه الوظائف هي محاولة تحليلية ونقدية اكتشف بواسطتها رومان ياكوبسون تنوعات لغوية غالبا ما تمّ الخلط بينها أو كانت مجهولة، فهذا الاكتشاف يفتح في وجه اللسانيات آفاقاً رحبة لدراسات متعمّقة تميّز خصوصيات الرسائل اللفظية وتنوعاتها، وهكذا يتمّم ياكوبسون خُطاطة مكونات التواصل بخُطاطة الوظائف الآتية**

مرجعية

انفعالية شعرية إفهامية

انتباهية

ميتالسانية

**إنّ كل وظيفة من هذه الوظائف تتمازج وتتسلسل وفق هرمية تحفظ لكل رسالة هيكلها وعنصرها الذاتي المميّز، وبخصوص الوظيفة الشعرية فإنّ آليات وتمفصلات محددة تتحكم في بنيتها اللّفظية قصد تحقيق ماهيتها، وهذه الآليات تفصل لغة الشعر والفنون الأخرى التي تهيمن فيها هذه الوظيفة عن اللّغة اليومية وما يماثلها كلغة العلم، ويتأسس الحد الفاصل اعتماداً على عمليتي: الاختيار *selection*والتأليف *combinaison* التي سنعين طبيعتها اعتماداً على تصوّر سوسير في كتابه: "دروس في اللسانيات العامة" وتصوّر رومان ياكوبسون لهاتين العمليتين وطبيعة التحولات في العلاقات المتبادلة بين هذين المحورين في اللّغة الشعرية خاصة.**

**وخصّص "جاكوبسون" سلسلة من أعماله للغة الأطفال والحبسة اللسانية (*Aphasie*).**

**وخلاصة القول أنّ "جاكوبسون" لعب دوراً هاماً في مجال اللسانيات الحديثة خاصة، والفكر البشري عامةً، فكانت أراؤه الشرارة الأولى والدعامة الأساسية لجانب كبير من الدراسات الإنسانية المعاصرة، وكان تأثيره كبيراً في ميادين عديدة من العلوم الإنسانية وكان القسط الكبر من تفكيره موجهاً للنظرية اللسانية.**

**لقد تحوّل جاكوبسون في أعين البعض إلى شخصية أسطورية لعمق الشخصيات الأساسية فيها، وهم الثلاثة الروس المهاجرون: ولرومان جاكوبسون تأثيره في الفكر اللساني الحديث، حتى أن بعض الباحثين يلخصون تاريخ نشأة البنوية وتشكلاتها المختلفة في شخصيته، ومغامراته العلمية، منذ مطلع شبابه في "موسكو" حتى تخرج على يد أجيال من الباحثين في أوروبا وأمريكا، فأصبح الحجة الأولى والمرجع الأخير في اللسانيات الحديثة.**

**مراجع المحاضرة:**

* **المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بو قرة**
* **اللسانيات و نظرية التواصل، عبد القادر الغزالي.**